الارسال الأول: خاص بطلبة السداسي السادس مقياس النقد النفساني.

عنوان المحاضرة: اللغة و بنية اللاوعي. د/حمدية زدام.

إن في أعماق كل كائن بشري، رغبات مكبوتة تبحث دوما عن الإشباع في ظروف قد لا تسمح لها بذلك. و لما كان من الصعب تحقيق هذه الرغبات في الواقع يلجأ الفرد إلى كيفيات أخرى متاحة لاشباعها كأحلام اليقظة، و الأعمال الفنية، و أحلام النوم.... حتى أننا لنعد هذه المنافذ إجراء تعويضي، و تنفيس عما تعذر تحقيقه في الواقع الاجتماعي(1). و هي استجابة حتمية لما يتموج في اللاشعور، وهي بنية نفسية تحتية متجذرة في لا وعي الإنسان، تثير فيه سلوكات معينة و تبعثه على افتعال مواقف مختلفة.

و قد كان لنظرية العالم النفساني سيجموند فرويد (1856-1939) الأثر الكبير في مجالات المعرفة الانسانية، و بخاصة فيما يتعلق بتأويل السلوك الانساني اليومي، و في تعبير الرؤيا و تأويل الإبداع الذي يرى أنه يصدر عن صاحبه في حالة من اللاوعي.

اللغة و بنية اللاشعور لدى جاك لاكان:

تعد النظرية اللغوية للطبيب و المحلل النفساني الفرنسي جاك لاكانjacque lacan

(1901-1981) من أهم النظريات السيكولوجية المعاصرة، و أكثرها منهجية ،و أوسعها فهما للتحليل النفسي حيث اعتمد في تحليلاته على اللغة بوصفها المترجم الأمين للغة. مؤكدا على أهمية الدال في قيادة الوعي الذاتي للشخصية الانسانية، حيث حملنا على إعادة قراءة فرويد من خلال إعادة صياغة أفكاره. و إعطائها بعدا مغايرا، و بخاصة ما تعلق منها بمفاهيمه حول الوعي و اللاوعي(2).

وقد استعان لاكان بالمجال اللساني، و صار اهتمامه منصبا على دراسة اللغة باعتبارها آلية لاستكشاف مجاهيل اللاوعي و سبر أغواره المغمضة، مؤكدا أن الاعتماد على اللغة سيسهم بشكل كبير في وصف اللاشعور بطريقة علمية تكون على وجة من الدقة و التحديد، لتكون بذلك اللغة أهم بنية مشكلة لمظاهر السلوك الانساني. اذ أظهر لاكان العلاقة بين النفس و اللغة بطريقة جادة تدفع إلى التفكير بعمق في مداخيل النفس الانسانية، و تدفعنا إلى التوغل بحثا في مكمن الأسرار الأولى للكلمة الانسانية. فهناك فقط نجد جذور الكلمة فجوهر اللغة يكمن في لا شعوريتها و أسرار اللغة نفسها هي التي تشكل منطق اللاشعور. لأن اللاوعي يتكون كلغة، و يتجلى في مظاهرها، و يؤكد في سياق آخر بأن ما تكشفه تجربة التحليل النفسي هو بنية اللغة بكاملها (3) وعلى هذا الاساس فإن للكلمة في مجال التحليل النفسي. هي كالمفتاح بيد المحلل، فهي الوسيط الوحيد للتوغل في أعماق النفس الانسانية من جهة، ومن جهة أخرى أداة المحلل النفسي. و من هنا يمكن النظر إلى رؤية

لاكان على أنها مذهب يمتزج فيه علم النفس بعلم اللغة بشكل يدر على المحلل بنتائج معرفية تخدم الجانب المعرفي للفرد، و كذلك الأمر نفسه بالنسبة لدلالات الأحلام التي تنطوي على بنية رمزية تحتاج إلى بنية اللغة لتجسيد دلالاتها و تمثيل وجودها.

بنية اللاوعي inconscience:

و هو متولد من افتراض وقوع صدمة نفسية حدثت للشخص (الأديب) في طفولته، و ظلت مترسبة فيها، كامنة في مجاهلها، إلى أن تبدت في كتاباته، وتكشفت في لقطات خياله، و في طبيعة الألفاظ التي يستخدمها كأداته ... و بالتالي يشكل هذا اللاوعي الماثل في مادة اللغة ي المنثالة على قريحة الكاتب مادة جوهرية للبحث في أعماق نفس الأديب لفهم عقده . و مشاكله النفسية المترسبة في طوايا ذاته.

و يرى فرويد أن اللاوعي النفسي هو خزان مادي لكل سيرة لدى أي شخص. و مجال للدوافع النفسية المنسية، وهذا المبدأ ناجم عن ممارسة هذا الجهد العلاجي للابتعاث الدوافع النفسية حيث العصب (جمع عصاب) هي تأثيرات دلالية(4).

و الكبت نوع من المقاومة، في وجود دافع قوي للإزالة و النسيان بسبب الممنوع الاجتماعي، وهو السبب الحقيقي الموجب لانبثاق الأثر العصبي، وما يكبح الكبت في اللاوعي هو ما يسمى بالممنوع .و هو عند بولاند جاكوبي معنى روحي، و نظام من الامكانات الكامنة. و مركز قوة غير مرئية، و نواة دينامية، و هو أيضا عناصر بنية للنفس تتصف بالقوة و الارادة الالهية.

إنه اللاشعور الذي يقدم شكل دينامي، و بنية منظمة للصور و لكنه يحيط دائما بالترسبات الفردية و الذاتية و المحلية و الاجتماعية لتشكيل الصور(5)،

و يعد الشعور عند لاكان مجموعة من الداوفع و الغرائز البيولوجية، بل هي نسق من الدلالات اللغوية و الرموز الثقافية و الاجتماعية(6) و هو يمتلك قوانينه الخاصة، و يتضمن عملياته الأساسية مثل: التكثيف و التحويل. ومن هذه الزاوية ينطلق لاكان لتحليل هاتين العمليتين بمنهجية لغوية ليصل إلى نتيجة تؤكد أن بنية اللاشعور بنية لغوية بالدرجة الأولى.

عملية التكثيفconadensation: و تتمثل في استبدال دلالة بأخرى، تقارب عملية

المجازات الأدبية التي تأخذ اتجاها واضحا في الصياغات الأدبية، و التي يتم من خلالها تحويل دلالة خاصة غير مناسبة لاسم ما إلى دلالة أخرى. و ذلك من خلال المقارنة التي تجري داخل النفس، و يتمثل ذلك عندما تشبه واحدا من الناس بالأسد كقولك: زارني أسد.

عملية التحويل: و يتوافق التحويل déplacement مع الكناية metanymie، تؤخذ

فيه النتيجة كسبب و السبب كنتيجة ، و الحامل بصفته محمولا. كقولك:كثير الرماد فكثرة الرماد نتيجة لكثرة النار، و كثرة النار نتيجة لكثرة الطبخ،و كثرة الطبخ نتيجة لكثرة الضيوف و كثرة الضيوف نتيجة للجود و الكرم ، و عظم السخاء .هو سبب لكثرة الرماد

و هنا يكمن جوهر اللغة القائم في تلك العلاقة التي تربط بين الدال و دال آخر. وفق علاقة استبدالية تفرضها طبيعة العلاقة بين طرفي العلامة اللغوية.

فاللاشعور لغة بنائية لدى لاكان، فهو الذي يتكلم داخل الانسان. و على هذا الاساس يمكن تفكيك رمزية الأعراض السلوكية ذات طابع لاشعوري، و بالتالي فاللغة هي الأداة الوحيدة التي نقرأ بها الظاهرة اللاشعورية.

اللاشعور هو خطاب الآخر: إن الوظيفة الرمزية ترتكز على مستويين هامين .المستوى الأول يتعلق بالمرحلة التي يتحقق فيها الفعل الكلامي على محور التلفاظ حيث تنتظم الحروف في سلسلة من النطائق، مشكلة كلاما يحمل إفادة. و يتعلق المستوى الثاني بالمرحلة التي تتولد فيها شروط هذا الكلام، و سياقه الرمزي الذي يستدعي مؤثرات غير لفظية محيطة بالحدث الكلامي من ظروف و أحوال مزاجية تعود لظروف قبلية لها الأثر الكبير في تحديد دلالة السلوك الكلامي (المقال).

و في هذا المستوى يفرض الأمراستحضار الدلالة حضور الآخر و هذا يشير إليه ، لاكان فلما يتحدث عن المشهد الآخر عن الهو

الذي يقوم بالعملية النطقية مراعيا شروط الكلام لتبدأ حركية النشاط الدلالي(7) .

و خطاب الاخر يكون بنية الرغبة أو التساؤل عن رغبة الأخر، و في الوقت نفسه عن الرغبة الذاتية . فالرغبة تتجه دائما إلى أشياء أخرى غير موضوعها الأساس، و هي موضوعات مفقودة و هي المدلولات التي لم نعثر عليها، و هذا هو موضوع التحليل النفسي و هو البحث عن المفقود داخل بنية الدال.